رد السادات فى ٣٠٠ كلمة: حتى لاننتظر وراءنا ونقول: هل كانت هذه التعقيدات ضرورية؟

أنيس منصور

التحرير

فى الدقيقة الأولى للقاء الرئيس السادات مع السفير الإسرائيلى د. بن اليسار قال السفير: سيادة الرئيس ليس عندى ماأشكو منه هذه المرة!..

وهو يشير بذلك إلى ماكان يشكو منه – دائما – من العزلة المفروضة عليه. وإلى أن خطوات تطبيع العلاقات بطيئة. وإلى أنه لم يجد شقة يسكنها حتى الآن. فقد استعرضت حرم السفير عشرات الشقق على النيل. وحاول السفير شراء فيلا شفير فى جاردن سيتى بمليون جنيه.. وحاول شراء بيت المؤرخ الكبير عبد الرحمن الرافعى بنصف مليون جنيه.. ويشير السفير أيضا إلى شكواه فى التليفزيون الإسرائيلى من الصحفيين المصريين ومن الصحفيين الإسرائيليين أيضا!..

إذن فلم يعد للسفير مايشكو منه. إما لاختفاء أسباب الشكوى. وإما لأن السفير قد اعتاد على هذا الجو الغريب. فأصبح مألوفا.. وإما لأن المناقشات بين مصر وإسرائيل قد اتخذت أعلى المستويات. بحيث يتضاءل إلى جوارها أى حوار آخر أو أية شكوى من أى نوع ومن أى أحد..

ولكن الرئيس السادات هو الذى كان لديه أكثر من شكوى. وقد استغرق حديث الرئيس السادات تسعين دقيقة. وقد وصف لى السفير الإسرائيلى هذا الحديث بأن الرئيس السادات متفائل. وأنه مؤمن بأنه لابد أن يكون هناك حل..

وقد عرض الرئيس السادات كل وجهات النظر وأبدى دهشته من سوء الفهم وسوء الظن لكثير مما يقال. وبأن الحكومة الاسرائيلية عصبية إلى أقصى درجة.

وكما توقفت المفاوضات. كان من الطبيعى أن تتوقف الرسائل أيضا بين الرئيس السادات والسيد بيجين. ولنفس السبب. فالمفاوضات أصبحت لغوية تدور حول نفسها وللانتقال إلى أرض جديدة. فهى تسير ولاتتحرك. وإذا تحركت فى الاسكندرية إلى الخيرة إلى هرتسليه. ولكن لاجديد يقال. ولا أمل أيضا. وهذا أحد المواقف الصعبة التى فرضتها اسرائيل. فقد كان التشدد واضاعة الوقت وإيهام العالم كله بأن هناك نوعا من الجدية فى الوصول أو الحصول على شىء!

ثم كانت القرارات العنيفة. والتحديات الاستفزازية لمصر وللعالم كله. وتوقفت المفاوضات. ولم تنقطع.

وجاء دور المفاوضات على الورق – أى الرسائل بين الرئيس السادات والسيد بيجين. وكان لابد مهما طالت أن تتوقف. فقد حملت إسرائيل مواقف يصعب أن تتبادل الرسائل فى ظلها. وإلا كان ذلك نوعا من القبول لها. وفى الرسائل مافى المفاوضات أيضا: مناقشات لغوية – من جانب إسرائيل. وعبارات خطابية موجهة إلى الشعوب اليهودية فى كل مكان – من جانب إسرائيل أيضا. وحساسية بلغت أقصى درجات سوء الفهم.

مثلا: عندما قال الرئيس السادات إن التاريخ اليهودى يبدأ من هنا أى من مصر. وأنه يبدو أن قدر مصر هو أن تبنى هذا التاريخ هنا أيضا!..

جاء رد السيد بيجين: لا. ليس صحيحا. فتاريخ اليهود بدأ من مدينة أور فى العراق. ثم خرج إبرام – أى إبراهام أى إبراهيم عليه السلام – إلى أرض كنعان. وتوقف عند منطقة اليهود حوريه.. الخ.

وتلك حقيقة تاريخية يعرفها أى تلميذ صغير درس تاريخ الحضارات القديمة. أو الهجرات الكبرى فى التاريخ. أو الأديان المقارنة – ولكن الذى قصده الرئيس السادات

ظروفا صعبة وضغوطا على المقاوض المصرى . لايمكن أن يتحملها . ولذلك جعلنا الترقف للتفكير الآن والتدبير بعد ذلك . شرطا لرؤية واضحة ومراجعة للحساب وامتنافا للدبلوماسية الفاشلة .. أو للهدوء المفقود فى إسرائيل ؟ ..

ولكن لابد أن نتساءل لماذا كل هذا ؟ ..

هل يريد السيد بيجين أن يضغط على مصر وأن يحرجها وأن يدفعها إلى قطع المفاوضات . وكأننا لم نعلق على الحوار الذى أولاه ماكان الفاق سلام ؟

إننا نعرف جيدا ماالذى كان يجرى على الألسنة وعلى الأقلام فى إسرائيل قبل مبادرة السلام .. كانت شعارات كثيرة . إسرائيل من النيل إلى الفرات .. وإسرائيل من القنطرة إلى القيظرة .. وإسرائيل الكبرى . وكانت حجة إسرائيل أنه لايوجد أحد نتحدث إليه ولكن مبادرة السادات أسقطت هذه الحجة . وكان الحوار والمفاوضات وتلك الاشتباكات والاتفاقات والمراسلات .. وكان الوفاء بالوعد . بمنهى الأمانة والشرف ..

د . بن اليعازر : سيادة الرئيس ليست عندى شكوى هذه المرة !

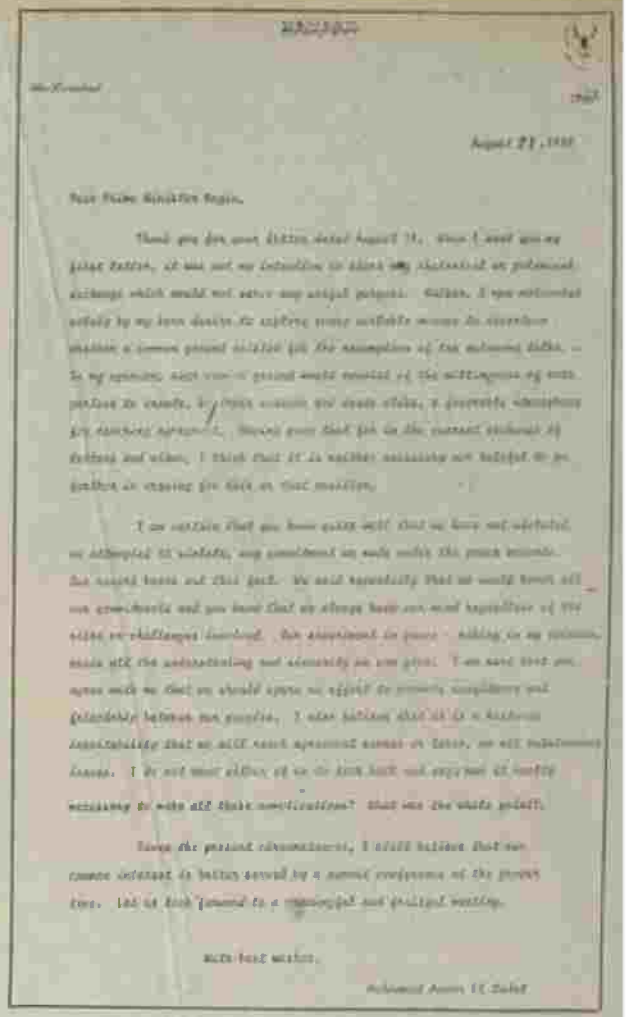

الصفحة الأولى من رسالة الرئيس السادات إلى السيد مناحم بيجين

ولم يشأ أن يذكره لأنه يعرف وجيعة وفجيعة اليهود إذا أشار أحد إلى ذلك . فهو يقصد عذاب اليهود فى مصر واضطهادهم وخروجهم وراء ظهرى عليه السلام . وبداية الخروج من مصر ومن كل بلد آخر .. وبداية التيه والضياع والشتات فى سيناء وفى العالم كله .. وقصد الرئيس السادات أن يقول إنه بالسلام يمكن إنهاء العذاب التاريخى . وأن قدر مصر . مرة أخرى . أن تنهى الشتات والخوف التاريخى لإسرائيل !

ولم يغفل الرئيس السادات فى رسالته الأخيرة التى لم تسلمها اسرائيل بعد . عن الدرس التاريخى الذى سرده السيد بيجين ..

وفى رسالة السيد بيجين اضطاف لمافاضة عمرها ١٣ عاما عن اخلاف فى النص الإنجليزى لقرار مجلس الأمن ٢٤٢ والترجمة الفرنسية لهذا القرار . جلاء القوات الإسرائيلية عن «الأرض المحتلة» .. أو عن «أرض محتلة» ..

ثم قرار ضم القدس العربية – أى أرض الغير بالقوة . وفى ذلك مخالفة للقانون الدولى ومعها قالت إسرائيل إن هذا القرار أصبح دستورا إسرائيليا . فهذا رأيها . ولكنه لايلزمنا كمصريين . ولا يلزم العالم كله الذى اجتمع على قرار يعد خرقا للقانون الدولى ! ..

وهما قاله الرئيس السادات للسفير الإسرائيلى : ماالذى كسبته إسرائيل الآن ؟ كسبت عداوة مئات الملايين من المسلمين وألف مليون مسيحى .. ولم تكسب رضا ١٤ مليون يهودى أمريكى وأوروبى .. وخسرت الصداقة التقليدية لأوربا .. فما كان أغنى رئيس وزراء إسرائيل عن هذا كله ..

ثم جاء العدوان على لبنان .. ومضت إسرائيل فى بناء المستوطنات .. كل ذلك وغيره من التصريحات والعبارات فى رسائل السيد بيجين ، خلق

رد السادات فى ٣٠٠ كلمة: حتى لا تنظروا وراءنا ونقول: هل كانت هذه التعقيدات ضرورية؟

هل هذا التشدد الإسرائيلى من الممكن أن يؤدى إلى إضعاف مصر ؟ فإذا حدث فما هى الفائدة التى تجنيها إسرائيل ؟ ! وإذا كان هناك بعض المتطرفين يتوهمون أنه يمكن – فى نفس الوقت – عزل مصر العربية المسلمة قلب الحضارة العريقة عن العالم العربى والإسلامى وقلاعها من حضور طوفا سنون قرنا . ألا ترى هذا إبعادا فى الخرافة ؟

هل هى حسابات حزبية فى إسرائيل ؟ هل هى المعركة الانتخابية التى بدأت سابقة لأوانها فى تل أبيب ؟ هل هى محاولات لأن يتدخل السيد بيجين أيضا فى الانتخابات الأمريكية بعد أن امتنعت أمريكا عن التصويت ولم تستخدم حق الاعتراض ؟

هل غير موقف موجه ضد يهود أمريكا الذين صانوا بما تسميه الإدارة الأمريكية « العلاقة التقليدية الخاصة بين أمريكا وإسرائيل » وأصبح هؤلاء اليهود الذين اجتمعوا أخيرا فى « بدورة امس » واعلنوا أنه يجب أن تكون مصالح أمريكا فوق كل اعتبار .. وأن أمريكا لا تستفيد من إسرائيل شيئا إنما إسرائيل هى المنتفع الأول فى كل الظروف ؟

وتساؤلات كثيرة تصعب الإجابة عنها فى هذا الوقت القصير الذى تستغرقه هذه السطور . ولكن الحقيقة المؤكدة أن إسرائيل تقف الآن وحدها ضد العالم كله . ونرى أنها وحدها على حق . وأن البشرية على خطأ !

وإن لم يكن ذلك جريا بحا ، فهو جنون العظمة . وفى كتب التحليل النفسى نموذج لذلك : أن رجلا عندما أدخلوه مستشفى الأمراض العقلية . وزاره أحد الأطباء وتحدث إليه فوجده عاقلا

قال المريض : أنا أرى العالم كله مخطئا . والعالم كله يرى أنى وحدى المخطئ . ولما كان العالم كله أقوى منى . فقد أدخلونى المستشفى . ولما كنت أضعف من العالم فلم أستطع أن أدخله المستشفى !

وعلى القلم أن نقول إن هذا الذى اعتقد حكومة إسرائيل يعبر عن تيار آمال وأحلام الشعب . أو الشعوب اليهودية فى كل مكان . إنما جانب ضئيل من المتشددين يؤيد ذلك

ولكن يجب ألا ننسى أهم ما أسفرت عنه مأثرة السادات : أنه لا وسيلة إلا الحوار .

لقد وضعنا السلاح . ومعه سوء الظن والخوف والعداء والرفض الأعمى . ويجب ألا يضيع هذا المكسب الخالد الذى هو تراث الأجيال من بعدنا .

ولم تكن هذه الرسائل بين القيادتين المصرية والإسرائيلية إلا استمرارا للحوار . ولكن بشكل آخر .

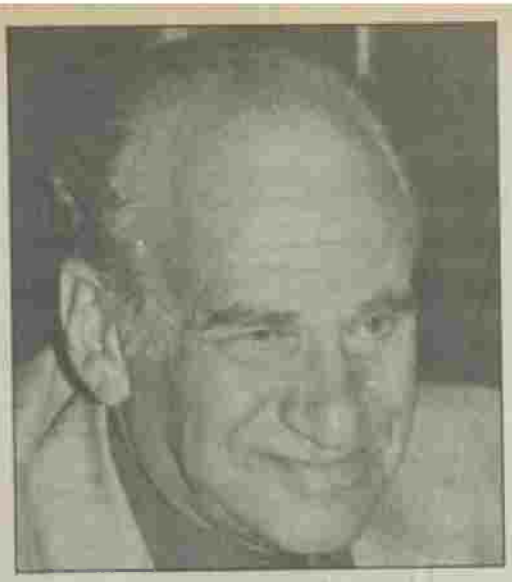

السيد اريه الياف : يجب أن يكون للشعب الفلسطينى دولة !

ولم يكن توقف هذه الرسائل إلا نوعا من البحث عن مدخل جديد للحوار .. هل بعد ذلك يكون حوار بين مصر وأمريكا .. وحوار بين إسرائيل وأمريكا .. ثم حوار بين الأطراف الثلاثة ..

وسوف يكون موضوع الحوار بسيطا جدا : إن قرار ضم القدس العربية إلى إسرائيل . وهو حق تراه إسرائيل شرعيا . وتراه نحن مخالفا لقرار مجلس الأمن واتفاقية كامب ديفيد وخرقا للقانون الدولى .

ولن نتعرض الآن لما سوف تتقدم به السيدة جيولا كوهين من مشروع قانون أساسى يضم الجولان فى أكتوبر القادم . ولن نتعرض لمشكلة شق قناة (٦١ ميلا) بين البحرين الميت والمتوسط دارة بأرض عربية محتلة – فذلك سابق لأوانه . كما أن إثارة قضية القدس قد فجرت من مكانها فى جدول مفاوضات الحكم الذاتى فسبقت زمانها بثلاث سنوات على الأقل !

ان فى إسرائيل وخارجها مدرسة فكرية ترى ما هو أوضح وأوقع . يتزعم هذه المدرسة المفكر الحر : أريه الياف . إنه يرى أن الصهيونية العالمية كقومية يهودية قد حققت هدفها . بأن أقامت دولة للشعوب اليهودية . ومن حق القومية العربية الفلسطينية أن تحقق هدفها بأن تكون هى دولة . فيكون لفلسطين علم وجواز سفر وعملة وبنك وأن يكون سيدا لمصيره . كما أصبح اليهود سادة

وفى محاضرات السيد اريه الياف فى جامعة ويسكونسن أخيرا . طلب إلى الأعضاء على سبيل الرياضة العقلية والدراسة السياسية أن يفكروا معه فى مصير القضية العربية الإسرائيلية . متسائلا :

ماذا يحدث لو استولت المنظمات الفلسطينية على كل فلسطين عا فيها إسرائيل وأصبح ياسر عرفات رئيسا للوزراء، وقتل عشرات الألوف من اليهود ؟

ويجيب : سوف يبقى ثلاثة ملايين يهودى . يمارسون الإرهاب والقتل والتدمير . بصورة أفظع مما يفعل الفلسطينيون . وسوف يحاربون ياسر عرفات ويسقطون مقر رياسة الوزراء الخ

ويتساءل : ماذا يحدث لو قامت سوريا الكبرى بضم لبنان والأردن وفلسطين . فكروا معى !

وعندما أطل السيد الياف فلسفته هذه . وكان سكرتيرا لحزب العمل على أيام جولدا مائير . كان من الصعب أن يبقى فى موقعه .

فقد كانت السيدة مائير لا ترضى بأن يكون اليهود أقل من ١٠٠ . وقد احتفل معها ١٠٠ .. ولكنه الآن يرى أن فى الأحزاب الإسرائيلية وبين الشباك وبين المحافظين من ينسب إلى مقولته الفكرية التى ترى : أنه لا سلام ولا أمن ولا أمان إذا لم تكن للشعب الفلسطينى دولة تحاذى الزمر أو قصر !

ياسر عرفات .. لم جاء رئيسا للوزراء لاعداء اليهود

إن مثل هذا الاتجاه الواقعي حريص على إسرائيل نفسها . فلا بقاء لها ما دامت هذه القضية بلا حل . وماذا تكسب إسرائيل إذا فرضت التشرد الذي عانته على الشعب الفلسطيني الذي يسانده العالم كله . ولا يطلب أكثر من حقه الطبيعي في البقاء ..

إن فلسفة السيد آريه الياف تستحق عظيم الاحترام والتشجيع ..

قال لي السيد آريه الياف منذ يومين في مكتبي : إنني أتبنى هذه الفلسفة منذ سنة ١٩٦٧ ولكن بعض المتشددين في إسرائيل يصفونني بالإسراف في الخيال . ويظنون أنني مثل يوحنا المعمدان الذي وصفه الكتاب المقدس بأنه « الصارخ في البرية » .. أي الصارخ في الصحراء . فلا صوت ولا صدى عند أحد من الناس !

ولكن السيد الياف يرى أن هذه مهمة واجبة أيضا . فكل يوم ينضم إليه كثيرون

وبينما في اسرائيل جانب متشدد خائف يعتقد أن الرئيس السادات قد خدع إسرائيل . وانه أولا وأخيرا عربي مسلم . وأنه بعد أن يسترد أرضه سوف ينقلب على اسرائيل . وأن أكبر خدعة في تاريخ اسرائيل هي أنها وافقت على أن يجيء الرئيس السادات ويلقي كلمة في الكنيست . تعطيها بذلك كل حجج إسرائيل في أن العرب لا يريدون السلام . ولا يريدون أن يتحدثوا معها .. وقد تحطم كل ذلك في زيارة واحدة . ويرى هؤلاء المتشددون أيضا ، أن مبادرة السادات قد فرقت اليهود في إسرائيل . فقد كانت الحرب هي التي تجمعهم على رأي واحد وصف واحد وعدو واحد .. أما الآن فالسلام قد فرقهم .. فهناك من يؤمن بالسلام ، وهناك من يتخوف منه . وهناك من يعاديه .. ويؤمنون بأن هذه هي أكبر كارثة حلت بإسرائيل ! ..

أما الشباب في إسرائيل .. فيؤمن بالسلام ويؤمن بأن الذي كسبه بصداقة مصر ، يجب ألا يخسره . وأن الزمن في صالح السلام . كما أنه في صالح الشباب الذين هم مستقبل إسرائيل ! ..

وهناك شرط ضروري من أجل أن يتحقق أي هدف : أن تستمر في تنمية ما يحقق صالح شعبنا . ولن تتحقق مصالح أي شعب إلا بالاستقرار والوضوح والاستمرار . وكل ذلك يحتاج إلى تشجيع أو خلق جو يشجع الجميع على المضي ..

ويرى السيد الياف أن الذي يلغاه حتى الآن هو : نصف الكوب .. نصف الزجاجة .. نصف الماء .. كأننا صحونا عند منتصف الليل على حلم مزعج ، وأنه من الضروري أن نكمل الماء والإناء والنوم الهادىء ..

كل ذلك باستمرار في الحوار للاختلاف والاتفاق . في يوم في شهر في سنة في سنوات ..

❁❁❁

ولذلك جاءت رسالة الرئيس السادات التي سوف يبعث بها إلى السيد بيجين مختصرة في ٣٣٠ كلمة . أكثرها عتاب على ما وصلت إليه لغة التواصل بينه وبين السيد بيجين

فالرئيس السادات يقول إنه لم يكن من أهدافه أن يدخل في ملاسنة خطابية لا تحقق هدفا . إنما كان دافعه الوحيد هو حرصه على استطلاع أي طريق يؤدي إلى أرض مشتركة للوقوف عليها . لاستئناف مفاوضات الحكم الذاتي .. ومثل هذه الأرض المشتركة تعتمد على إرادة الطرفين في خلق الجو المناسب بالفعل . للوصول إلى اتفاق .

وبعد أن بلغ الطرفان في التواصل وعرض وجهات النظر هذه المرحلة فليس من الضروري ولا من المفيد المضي في المناقشات اللغوية ..

كما أنه من المؤكد أن السيد بيجين على يقين من أن مصر لم تتحل أو تحاول . عن التزام قطعته على نفسها بمقتضى اتفاقية السلام . والأدلة ماثلة بكل ذلك ..

ويقول الرئيس السادات في رسالته .

« ولقد أعلنا مرارا أننا نحترم كل تعهداتنا . وأنت تعرف أننا نتمسك بكل كلمة قلناها . مهما كانت الخواطر والتحديات . وأنا على يقين من أنك توافقني في أنه يجب ألا ندخر وسعا لتدعيم الثقة والصداقة بين شعبينا . كما أني أومن بأنها حتمية تاريخية أننا سوف نصل إلى اتفاق على كل القضايا عاجلا أو آجلا ولا أحب لأحد منا أن ينظر وراءه ليقول :

هل كان من الضروري خلق كل هذه الصعوبات ؟ .. .

وفي ختام رسالة الرئيس السادات إلى رئيس وزراء إسرائيل ونظرا للظروف الراهنة أكد إيمانه بأنه « من الضروري أن تكون قمة ثلاثية في الوقت المناسب » .

فلا تكون شكوى في إسرائيل من أن المصريين تراجعوا عن السلام . أو عن تطبيع العلاقات .. وأن هذا التراجع « بتعليمات » من الحكومة !

ولكن أية حكومة ؟ ..

إنها الحكومة الإسرائيلية التي تستفز المشاعر وتصدم الرأي العام في العالم كله . ثم تسبق الجميع إلى الشكوى من الضيق العالمي أو العداء العالمي .

ربما ظن بعض المتطرفين أن العداء العالمي هو وحده الذي يوحد صفوف الشعب الإسرائيلي .. فماذا كان الحرب والخوف .. وفي ذلك رد على مبادرة السلام التي فرقت الآراء والاجتهادات في إسرائيل ..

ولكن هذه الوحدة الإسرائيلية في مواجهة العالم كله فادحة الثمن . إنها تذكرنا بحادثة عجيبة يرويها أبناء المدينة التي ولد فيها السيد بيجين يرولندا . يقولون إن حريقا شب في المدينة . وسارع الناس جميعا لإطفاء هذا الحريق . لم يتخلف الأصدقاء والأعداء . المؤمنون والملحدون .. وعندما أطفىء الحريق تماما وقف الحاخام يقول لهم : إن هذا الحريق معجزة من السماء ! ..

فنظرت الناس في دهشة بعضهم إلى بعض .. وهنا فاجأهم الحاخام قائلا : لولا هذا الحريق الذي أضاء لنا كل شيء . لكان من الصعب اطفاء هذه النيران في هذه الليلة المظلمة ! ..

إن الحريق قد وحد الناس . وإن الحريق قد أضاء الليل للناس . ولكن كم كان الثمن فادحا ؟ ! ..

□